الفصل الثالث

التغير الاجتماعى .. وتعاطى المخدرات

● **التغير الاجتماعى :**

كان موضوع التغير الاجتماعى مثار اهتمام علماء الاجتماع ، ويعتبر ويليام أوجبرن من أوائل الذين درسوا هذه الظاهرة بطريقة علمية منظمة ، وقاموا بدراسات كمية لمعدل التبادل ، وخاصة فى مجال الاختراعات التكنولوجية ، كما ركز الاهتمام على التباين الموجود بين معدلات التغير فى قطاعات مختلفة من الحياة الاجتماعية ، وحدد « الهوة الثقافية » بأنها تعبير عن عدم الانسجام الواضح بين النمو التكنولوجى السريع ، وبين التحول البطىء فى النظم العائلية والسياسية ، وغيرها من النظم ، وكذلك فى المعتقدات التقليدية والاتجاهات المختلفة .

وقد أصبحت هذه المشكلات ـ فى السنوات الأخيرة ، موضع اهتمام اكبر كقضية رئيسية فى السياسة العالمية ، وخاصة بدخول التصنيع فى الدول النامية(١) .

ومن ثم تزايد الاهتمام بالتغير ، عندما ظهرت الحاجة الى توجيه هذا التغير لمصلحة الجماعة الانسانية ، نظرا لأن التغير ربما يسير فى اتجاهات تضر الانسان أحيانا وتجعله لا يستطيع التحكم فى مصيره ، وتاكدت اهمية دراسات تغير المجتمع ، وثقافته عندما اثبت علماء الأنثروبولوجيا : ان المجتمعات البدائية ليست ثابتة كما كان شائعا ، بل انها تتغير ، ولذلك أيقن علماء الاجتماع أن تغير المجتمع حقيقة دائمة ، وان اختلفت المجتمعات فى هذا الصدد ، فان الاختلاف يرجع الى سرعة التغير وتعدد العوامل المسببة له .

---

(١) يوتومور ، تمهيد فى علم الاجتماع ، ترجمة وتعليق محمد الجوهرى وآخرين ، دار المعارف ، الطبعة الرابعة ١٩٨٠ ص ٣٥٠ ، ٣٥١

فالمجتمع بشكل عام هو : مجموعة معقدة من العلاقات الاجتماعية ، لا يبقى كما هو لأنه فى حالة دائمة من الحركة والتعديل الذى يتم فى طبيعة ومضمون وبناء الجماعات والنظم وفى العلاقات بين الناس والجماعات ، وخلال تتابع الزمن ، يكون ميدان الدراسة فى مجال التغير الاجتماعى ، ولذلك فان التغير يعتبر عملية اضطرادية مستمرة ، ودرجة التغير الاجتماعى ليست واحدة دائما ، ونلاحظ من دراستنا لتتابع الوقائع التاريخية : أن هناك فترات من التاريخ تميزت ببطء التغير الاجتماعى(٢) .

ولذلك درج العلماء على رسم الخطوط العامة التى التزمت بها المجتمعات البشرية فى تطورها ، وكان الاتجاه الغالب أن تكون رؤيتهم للتطور فى حلقات متتابعة ، لكل حلقة خصائص معينة فى الفكر والعمل ، أو اتجاها عاما له صفات محددة(٣) .

وتتصف المجتمعات الانسانية عموما بأنها : فى تغير دائم ومستمر ، فالتغير ظاهرة طبيعية ، تخضع لها مظاهر الكون وشئون الحياة المختلفة ، وهو أكثر وضوحا فى الحياة الاجتماعية ، لأنها فى تغير دائم وتفاعل مستمر(٤) .

ولذلك فهو صفة أساسية من صفات المجتمع ، ولا يمكن أن يخضع هذا التغير لارادة معينة ، بل انه نتيجة لتيارات اجتماعية ، وعوامل ثقافية واقتصادية وسياسية يتداخل بعضها فى بعض ، ويؤثر بعضها فى البعض الآخر(٥) .

---

(٢) محمد عاطف غيث ، التغير الاجتماعى والتخطيط ، دار المعارف ، الاسكندرية ، الطبعة الثانية ١٩٦٦ ، ص ٣٥٠ ، ٣٥١

(٣) محمد عاطف غيث ، التغير الاجتماعى فى المجتمع القروى ، الاسكندرية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٢٣ ، ٣٥

(٤) عبد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع ، الكتاب الأول (مدخل) ، مرجع سابق ، ص ٤٩٥

(٥) السيد محمد بدوى ، مبادىء علم الاجتماع ، دار المعارف ، الاسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٨١ ، ص ٢٧٧

والتغيرات الاجتماعية التى تحدث فى أى مجتمع ، تعد أحيانا نافعة وايجابية فى جوهرها وتوصف حينئذ بأنها تقدم ، كما قد تكون سلبية وضارة فى طابعها العام ، وتوصف حينئذ بأنها نكوص أو تدهور ، وتعد نفس التغيرات سلبية من وجهة نظر معينة ، وايجابية من وجهة نظر أخرى(٦) .

ولذلك فالتغير الاجتماعى يتصف بالنسبية دائما ، وهو يرتبط بالمواقف والظروف الاجتماعية للمجتمع ، وتكون عوامل التغير وحقائقه ونتائجه مصدر اهتمام بعض أو كل أعضاء الجماعة التى تتأثر بالتغير(٧) .

ولهذا فهو يحدث نتيجة لسير الحياة الاجتماعية ، فالمجتمع كالفرد يمر بتجارب كثيرة يستفيد منها كلما امتدت به الحياة الاجتماعية ، ويغير من حياته ونظمه وأنساقه الاجتماعية ، وفقا لهذه التجارب ، وبصفة عامة ، فان التغير الذى يصيب جانبا من جوانب الحياة الاجتماعية فى المجتمع ، يتردد صداه فى الجوانب الأخرى ، ولكن بدرجات متفاوتة ، لأن نظم المجتمع الاجتماعية مترابطة ومتكاملة من الناحية البنائية والوظيفية ، بمعنى ان التعليم كعامل من عوامل التحضر ، عندما يستخدم فى بيئة ريفية ، فمن المتوقع حدوث تطورات وتغيرات فى القيم والمفاهيم الاجتماعية ، وكذلك الأنشطة الاجتماعية ، والتنظيم الاقتصادى للأفراد فى هذا المجتمع(٨) .

والتغير لا يحدث من فراغ ، وانما يتم داخل اطار ثقافة المجتمع ، حيث يبدأ من النقطة التى يتم عندها ظهور علاقات اجتماعية معينة ،

---

(٦) محمد الجوهرى وآخرون ، التغير الاجتماعى ، القاهرة ، دار المعارف ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٢ ، ص ٦

(٧) عاطف غيث ، علم الاجتماع ، الاسكندرية ، دار المعارف ، ١٩٦٣ ، ص ٥٥٩

(٨) زيدان عبد الباقى ، علم الاجتماع الحضرى ، القاهرة ، دار نشر الثقافة ، ١٩٧٢ ، ص ١٤١

او نمط سلوك اجتماعى معين يختلف عن تلك التى كانت سائدة من قبل(٩) .

وبهذا يتضح أن عملية التغير الاجتماعى ليست اضافة عشوائية ميكانيكية لبعض الأنساق والنظم الاجتماعية السابقة بطريقة كمية ، ولكنه عملية اضافة وتعديل كيفى لبعض الأنماط الثقافية القائمة فى المجتمع .

ونلاحظ أن كل التغيرات التى تحدث فى المجتمع لها صفة التطور، لأنها متصلة الأطوار ومن ثم كان للتغير الاجتماعى تأثيره الفعال بالنسبة للتحولات العديدة فى أنماط الحياة الاجتماعية المختلفة(١٠) .

ولهذا فقد عرف ميدان دراسة التغير الاجتماعى فى السنوات الأخيرة ، قضايا جديدة بسبب الوعى المتزايد بالمشاكل الاجتماعية ، ومدى تعقدها ، واتساع مداها ، وبفعل الاحساس المتزايد بالفجوة الدولية الخطيرة القائمة بين الشعوب الغنية والشعوب الفقيرة ، وحاجة العالم الثالث الماسة لرفع مستوى معيشة شعوبه(١١) .

ويهمنا هنا أن نشير الى أن دراسات التغير الاجتماعى تهتم بصفة خاصة ، بمدى تأثير التكنولوجيا على نظام اجتماعى محدد ، كالأسرة وعلاقة ذلك بمدى فعالية التغير الثقافى للمجتمع ، لأن ثقافة أى مجتمع من المجتمعات تتضمن بالضرورة ، وجهة نظر كل فرد فيه ، وموقفه من مجموعة القيم والمعارف الثقافية التى تحكم سلوكه

---

(٩) كمال دسوقى ، الاجتماع ودراسة المجتمع ، مكتبة الأنجلو المصرية ، الطبعة الأولى ، ١٩٧١ ، ص ٦١١

(١٠) Nord skog : Jonneric : Social change : New York, 1960 p. 42 .

(١١) اس . س . دوب ، التغير الاجتماعى ، ترجمة عبد الهادى الجوهرى وآخرون ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٤ ، ص ١٢٤

الفردى ، والعلاقات الاجتماعية التى تحكم اتجاهاته الفكرية نحو مجتمعه .

والتغير الاجتماعى يعنى : كل تحول فى النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية ، سواء كان ذلك فى البنية الاجتماعية ، او الوظيفة الاجتماعية للمجتمع ، ولما كانت النظم فى المجتمع متكاملة بنائيا ، ومتساندة وظيفيا ، فان أى تغير يحدث فى ظاهرة ، لا بد وأن يؤدى الى سلسلة من التغيرات الفرعية ، التى تؤثر على جوانب الحياة بدرجات متفاوتة(١٢) .

مثال ذلك التغير الاجتماعى ، الذى صاحب التغير الاقتصادى فى مصر منذ منتصف السبعينات حتى الآن ، والذى أحدث سلسلة من التغيرات الفرعية فى مختلف مجالات الحياة حيث رفع من معدلات التاثير الاجتماعى للعامل الاقتصادى مما أثر بدوره على وظائف بعض المؤسسات الاجتماعية من أهمها الأسرة ، والأنساق القيمية للمجتمع ، كما أثر على الوظيفة الاجتماعية للدين كضابط اجتماعى ، ونتج عن ذلك كله : بروز ظواهر اجتماعية سلبية أهمها : انتشار تعاطى المخدرات بين الشباب المصرى .

* * *

● **ماهية التغير الاجتماعى :**

يعتبر التغير الاجتماعى من أهم الموضوعات التى جذبت اهتمام علماء الاجتماع ، سواء من الرواد الأوائل مثل : دوركايم وأوجست كونت وسبنسر وماركس وابن خلدون وغيرهم من العلماء الذين هداهم تفكيرهم الى وضع برامج ومشروعات وأفكار لمدن مثالية ، كانوا يأملون من ورائها

---

(١٢) مصطفى الخشاب ، دراسة المجتمع ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٦٧ ، ص ١١٩

ان يحدثوا تغييرات اجتماعية ، من شانها ان تحقق العدالة بين افراد المجتمع ، وتقضى على الظلم والحرمان بين الناس(١٣) .

اما علماء الاجتماع المحدثين أمثال أوجبرن وسوروكين وتشابن وغيرهم فقد انحصرت نظرتهم الى التغير الاجتماعى فى :

١ ـ فريق اهتم ببيان التغير الاجتماعى باعتباره يكشف عن الجانب المعيارى للحياة الاجتماعية ، فكل المجتمعات والثقافات فى تغير مستمر ، وان كان التغير فى بعض منها أسرع من البعض الآخر ، ويأتى على راس هذا الفريق ، ولبرت مور (W . Moore) ، حيث قرر ان ظاهرة التغير ، ظاهرة سوية وعالمية .

٢ ـ وفريق آخر اهتم بتفسير التغير الاجتماعى : وفى هذا المجال يأتى جهد علماء الاجتماع فى التمييز بين التغير الاجتماعى والثقافى ، وقرروا فى هذا الصدد : ان التغير الاجتماعى هو فى الدرجة الأولى تغيرا فى الجوانب البنائية للمجتمع ، أما التغيرات الأخرى فهى تغيرات فى المركب الثقافى(١٤) .

ومن ثم فان التغير الذى يحدث فى البناء الاجتماعى يتركز عموما فى عدة نقاط :

١ ـ التغير فى القيمة الاجتماعية :

وهى من أكثر التغيرات البنائية أهمية ، وخاصة القيم التى لها تاثيرا مباشرا وفعالا فى مضمون الأدوار الاجتماعية ، والتفاعل الاجتماعى الذى يحدث عموما خلال فترات طويلة من الزمن ، ويستغرق أجيالا باكملها ، مثال ذلك ما يدور حول الانتقال من مرحلة النظام الاقطاعى فى المجتمع الى المجتمع التجارى الصناعى ، ففى مجتمع الاقطاع : كان الفرسان ورجال الدين يمثلون قمة المجتمع ، والقيم السائدة كانت

---

(١٣) عبد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع ، الكتاب الأول ، مدخل ، مرجع سابق ، ص ٤٩٧ ، ٤٩٨

(١٤) اس . س . دوب ، التغير الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص ٩

مرتبطة بأخلاقيات هاتين الطبقتين ، ولذلك فان الوظائف الاقتصادية على الرغم من اهميتها ، لم تكن تحظى بالتقدير المناسب .

٢ ـ تغير فى مراكز الأشخاص :

ويحدث هذا التغير فى اشخاص بالذات ، يؤدون ادوارا فى النسق الاجتماعى ، خلال فترة طويلة من الزمن يستطيعون من خلال مراكزهم أن يحدثوا تأثيرا فى مجريات احداث المجتمع .

٣ ـ تغير النظام :

ويعنى التغير فى البناءات المحددة مثل صور التنظيم والأدوار ومضمون الدور ، فالتغير فى نظام تعدد الزوجات على سبيل المثال الى نظام وحدانية الزوج والزوجة بسبب عوامل اقتصادية يؤدى الى تغيرات هامة فى البناء الاجتماعى للأسرة .

اما التغير فى المركب الثقافى ، فهو يشمل كل التغيرات التى تحدث فى كل فرع من فروع الثقافة بما فى ذلك الفكر والفن والعلم والأدب والتكنولوجيا والفلسفة ... الخ بالاضافة الى التغيرات التى تحدث فى صور وقواعد التنظيم الاجتماعى(١٥) .

ولا يعنى التركيز على مصطلح التغير الاجتماعى : انه يقتصر على دراسة البناء الاجتماعى ، وما يطرأ عليه من تغيرات فى شكله ووظائفه فقط ، ولا يقتصر المصطلح أيضا على العلاقات الاجتماعية ، ولكنه يشتمل على نسق العادات والتقاليد ووجود عناصر ثقافية معينة تساهم فى استمرار البناء الاجتماعى : وهى جميع وسائل الضبط الاجتماعى ، كالعادات والدين والقيم ، وكلها تندرج داخل الثقافة ، لذلك فضل الكثيرون مصطلح التغير الثقافى الاجتماعى (socio - cultural change) والتركيز على جانب دون الآخر ، يعتمد على تخصص الباحث وفهمه لعلم الاجتماع .

---

(١٥) محمد عاطف غيث ، التغير الاجتماعى والتخطيط ، مرجع سابق ، ص ٢٢ ، ٢٥

فالبعض يركز على البناء الاجتماعى ، والآخر على الثقافة وآخرون لا يفصلون بينهم بطريقة تعسفية فيجعلهما متقابلين ، بينما الثقافة « العادات ، والتقاليد مثلا » يمكن ان تكون عنصرا تكامليا حين تتيح لنظام اجتماعى معين ـ الأسرة مثلا ـ فرصة الاستمرار(١٦) . والتغير الاجتماعى ، بصفة عامة يعنى : ظهور بعض الاختلافات التى يمكن ملاحظتها فى البناء الاجتماعى للمجتمع . أو فى العادات والتقاليد المتعارف عليها ، أو فى معدات وآلات لم يكن لها وجود من قبل ، وذلك بالمقارنة بحالات وأوضاع سابقة ، وقد تبلورت كثير من نظريات التغير الاجتماعى من خلال الأفكار والمفاهيم التطورية ، التى اتسم بها التفكير الاجتماعى فى القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ومثال ذلك أن عالم الاجتماع أوجست كونت ذهب الى أن حدوث التغير فى المجتمع الانسانى يحدث بناء على تطور خاص لعقل الانسان(١٧) .

والذى يتبلور فى صورة قانون له أدوار ثلاثة ، تتسم الأولى بـ :

١ ـ التفكير الثيولوجى (الدينى) .

٢ ـ والثانية ينتقل فيها الى المرحلة الميتافيزيقية (الفلسفة) .

٣ ـ والثالثة : ينتقل فيها التفكير الانسانى الى الوضعية التى يمثلها العلم الحديث ، ولا عجب ، اذا كان هذا التقدم العقلى مصحوبا بتطور أخلاقى ، يتغير فى النظم الاجتماعية . ويرجع « أوجست كونت » فضل المرحلة الثالثة ، وهى مرحلة العلم الحديث ، أو التفكير الوضعى الى ما نشاهده اليوم من معرفة ، يتميز بها العصر الصناعى ، حيث غيرت نسق بنائه وقيمه واتجاهاته(١٨) .

---

(١٦) حيدر ابراهيم على ، التغير الاجتماعى والتنمية ، مدخل نظرى ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر ، ١٩٨٢ ، ص ٢٣

(١٧) Gould and Kolb. Dictionary of social Science, Tawristock Publications, Great Britain, 1964 p. 667.

(١٨) اس . س . دوب ، التغير الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص ٦

ونكتفى هنـا بذكر بعض المفاهيم ، على سبيل المثال وليس الحصر ، لكى نتبين الاتجاه العام الذى يسـير فيـه علماء الاجتماع فى تعريفاتهم المختلفة ، ومن المهم الاشـــارة الى أن بعض العلماء ، لم يفرقوا بين بعض المفاهيم فى كتاباتهم عن مفهوم التغير الثقافى ، والتقدم الاجتماعى ، والنمو والتنمية والتطور ، فقـد استخدموا بعضها بما تعنيه المفـاهيم الأخرى ، على الرغم من الاختلاف بينهما ، ولذلك : فان ظاهرة التغير الاجتماعى اسـتأثرت باهتمام كثير من علماء الاجتماع ، فدرسـوها على انها مرحلة من مراحل التقدم ، وتناولها آخرون وطبقوها على المجتمعات الانسـانية ، متصـورين : أن هـذا التغير : هو تطور ارتقائى مصحوب بتحسـين مطرد لنظم المجتمع ، ولذلك حاولوا الوصـول الى مجموعـة من القوانين التطورية العامة ، التى تحكم وتفسر حركة الانســـان فى عموميتها(١٩) .

وسـنتعرض لهذه المفاهيم ، بشىء من التوضيح ، حتى يمكننا التفرقة بينها وبين مفهوم التغير الاجتماعى .

اولا ـ مفهوم التغير الاجتماعى :

يعرف عبد الباسط محمد حسن التغير الاجتماعى : بأنه كل تحول يقع فى التنظيم الاجتماعى ، سـواء فى بنائه أو فى وظائفه خـلال فترة زمنية معينـة ، ووفقا لهذا التعريف ، فان التغير الاجتماعى ينصب على كل تغير يحدث فى انماط العلاقات الاجتماعيـة او فى البناء الطبقى للمجتمع ، أو فى الجماعات والنظم والأنســاق الاجتماعيـة او فى القيم والمعايير التى تؤثر فى سـلوك الأفراد ، والتى تحدد مكاناتهم وادوارهم فى مختلف التنظيمات الاجتماعيـة التى ينتمون اليها ، وعلى ذلك فان التغير الاجتماعى : لا يقتصر على جانب واحـد من جوانب الحيـــاة

---

(١٩) مصطفى الخشـاب ، تاريخ التفكير الاجتماعى وتطوره ، مطبعة لجنـة البيان العربى ، الطبعة الأولى ، ١٩٥٤ ، ص ١٠٦

الاجتماعيـة ، وهو اذا بدا كذلك ، فمن الصعب ايقافه نتيجة لمـا بين النظم الاجتماعيـة ، وبين التنظيم الاجتماعى ككل ، من ترابط وتسـاند وظيفى(٢٠) .

ويعرف السـيد محمد بدوى التغير الاجتماعى : بأنه صـفة أساسية من صفات المجتمع ، ولا يمكن أن يخضع هـذا التغير لارادة معينـة ، بل هو نتيجة لتيارات اجتماعية ، وعوامل ثقافيـة واقتصادية وسـياسية ، يتداخل بعضها فى بعض ، ويؤثر بعضها فى الآخر .

ويرى أيضـا : أنه نوع من أنواع التطور الذى يحـدث تأثيرا فى النظام الاجتماعى (Socialorganisation) ، أى التى تؤثر فى بناء المجتمع ، ووظائفه ، وعلى ذلك فليس التغير الاجتماعى الا جزءا من عملية أكبر وأوسـع من عمليـات التطور فى المجتمع(٢١) ويشـير محمد عاطف غيث الى أن التغير الاجتماعى نمط من العلاقات الاجتماعية ، فى وضـع اجتماعى معين ، يظهر عليـه التغير خـلال فترة محـددة من الزمن(٢٢) .

وعرفه فيرتشـيلد (Fairchild) بأنه : تلك الاختلافات التى تحدث فى نطاق العمليات الاجتماعيـة أو النظم والتكوينات الاجتماعية الخاصـة بمجتمع معين ، وقـد يكون هـذا التغير تقدما أو تأخرا ، ثابتا أو مؤقتا ، مخطط له وموجه ، أو عكس ذلك ، وربما يحدث نفعا أو ضررا للمجتمع وشرائحه المختلفة(٢٣) .

ويرى وليم أوجبرن (W. Ogburn) أن التغير الاجتماعى : هو ذلك

---

(٢٠) عبد الباسـط محمد حسن ، علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٥٠٠

(٢١) السيد محمد بدوى ، مبادىء علم الاجتماع ، مرجع سابق ، ص ٢٧٧

(٢٢) محمد عاطف غيث ، التغير الاجتماعى والتخطيط ، مرجع سـابق ، ص ١٧

(٢٣) Fairchild, H. P. Dictionary of sociology, Related Sciences little Field adams Co. N. Y. 1959 p. 27.

الشيء الذى يصيب شتى جوانب الحياة الاجتماعية ، مرتكزا على العوامل التكنولوجية التى لها تأثيرها المباشر على حركة التغير الاجتماعى ، بالرغم من اعترافه بالقدرات العقلية ، وبالعوامل الأخرى : مثل التراكم ، والانتشار الذى يكون نتيجة للعوامل الثقافية التى تؤثر فى الحياة الاجتماعية للمجتمع(٢٤) .

ويرى أن التغير فى المظاهر المادية للثقافة ، يحدث تغيرا سريعا فى أنماطها المختلفة ومن ثم ، فالمظاهر اللامادية لها ، والتى تتمثل عادة فى العادات والتقاليد والأعراف الخاصة بالمجتمع ، والأيديولوجيات والتشريعات والنظم الاجتماعية السائدة ، والتخلف الثقافى ، لا يحدث الا نتيجة لاختلاف السرعات التى تحدثها التغيرات المادية ، عن التى تفوق فى حدوثها التغير اللامادى ، ويؤدى هذا الى نوع من عدم التوازن والانسجام ، بين الثقافتين : القديمة والجديدة ، مما يؤدى الى ظهور الهوة الثقافية(٢٥) .

ويضيف : ان اهم التغيرات التى لها تأثيرها الفعال فى عصرنا ، هى تلك التغيرات التى حدثت فى النظام الاقتصادى للمجتمع ، ويظهر ذلك بشكل واضح وفعال فى نظم الانتاج والتوزيع الحديثة التى تمت بواسطة المخترعات التكنولوجية ، والتى كان لها دورها فى مجال الصناعة ، وعلى النظام الأسرى والمعتقدات الدينية ، وفى مجال السياسة والدولة وغيرها من النظم الاجتماعية ، ومن ثم فان للتكنولوجيا تأثيرها الفعال على شتى نواحى الحياة الاجتماعية(٢٦) .

---

(٢٤) William, F. Ogburn , The meaning of Technology and Social change by Francis. R Allen and others Applcen tury Crafts , . N. Y. 1957, p. 6.

(٢٥) Ogburn, W. Nimkoff, M. A Hand Book of sociology London, Routlege, and Regan Paul, Ltd, Four theedition. 1960 pp. 202 - 203.

(٢٦) Ogburn, W. F. Encyclopedi of social Science VII 1950. p. 330.

كما عرف جنزبرج : التغير الاجتماعى : بأنه التغير الذى يحدث فى طبيعة البناء الاجتماعى مثل زيادة او تناقص حجم المجتمع ، او فى النظم والأجهزة الاجتماعية او التغيرات اللغوية ، ويشمل المصطلح كذلك : التغير فى المعتقدات والمواقف ، ويعنى التغير الاجتماعى بذلك كل تحول يحدث فى النظم والأنساق والأجهزة الاجتماعية ، سواء كان ذلك من الناحية المورفولوجية او الفيزيولوجية خلال فترة زمنية محددة(٢٧) .

ويرى جون لويس جيلين (J. Gillin) وجون فيليب جيلين : ان التغير الاجتماعى عبارة عن تحول فى أنماط الحياة المقبولة : سواء رجع هذا التحول الى النواحى الجغرافية او الثقافية او فى التركيب السكانى او فى الأيديولوجات والمعتقدات التى يعتنقها الأفراد داخل المجتمع ، ويكون هذا التحول نتيجة لحدوث بعض الاختراعات التى يكون لها تاثيرها على شتى نواحى الحياة الاجتماعية ، داخل المجتمع(٢٨) .

وذهب ديفز : (K. Davis) الى ان التغير هو كل تحول يقع على التنظيم الاجتماعى للمجتمع ، والذى يجمع بين البناء والوظائف المختلفة للنظم الاجتماعية ، ويرى أن التغير الاجتماعى جزء من التغير الثقافى الذى يحدث ، سواء فى مجال الفنون او العلوم او التكنولوجيا والفلسفة ، بالاضافة الى التغير فى التنظيم الاجتماعى للمجتمع(٢٩) .

أما جيمس كوين : فيرى انه لا بد من أن يكون هناك رفضا تاما للبناء الثابت القائم فى المجتمع ، وعلى عالم الاجتماع أن يتعقب عمليات التغير الاجتماعى خلال الفترات المختلفة التى تمر بها المجتمعات ،

---

(٢٧) أحمد أبو زيد ، البناء الاجتماعى ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ٢٥٣

(٢٨) Rogers. Evereh. M. Social change in Rural Society , Applenton Century Craffs. Inc. N. Y. 1960. p. 1.

(٢٩) K. Davis, Human Society. N. Y, Macmillan 1957. p. 622.

والتغير الاجتماعى فى رأيه : يحدث نتيجة لعدة عوامل مترابطة ومتماسكة فى اطار واحد ، فاذا حدث اى تغير فى أى عامل من العوامل ، فان ذلك يؤدى الى حدوث تغيرات شاملة فى باقى الاطار(٣٠) .

ويرى كارل ماركس : أن التغير الاجتماعى يتاثر بعاملين محددين : هما التطور التكنولوجى ، أى : القوى الانتاجية من ناحية ، والعلاقات السائدة بين الطبقات من ناحية اخرى ، وأن هناك مراحل معينة لتطور القوى الانتاجية ، وأن هذه المراحل تصاحبها اشكال معينة من العلاقات السائدة بين الطبقات ، واستمرار تطور القوى الانتاجية من شأنه أن يغير العلاقات بين الطبقات ، ويؤثر فى أسباب تصارعها ، وبتطور التاريخ تصبح الطبقة المسيطرة عليها قادرة على تغيير النظام ، الذى يؤثر بدوره على العلاقات الاجتماعية ، بل تصبح قادرة بنفسها على تأسيس نظام اجتماعى جديد(٣١) .

ومن هذه التعريفات ـ التى أوردناها ـ لبعض العلماء ، يتضح أن بعضهم تعرض لعوامل التغير ، والبعض الآخر لمس ماهية التغير عن قرب .

ومن الممكن أن نتطرق الى الموضوع من زاوية اخرى ، ذلك ان عالم اليوم يتكون من أربعة جوانب رئيسية هى :

١ ـ المقدس (الدين) .

٢ ـ الانسان .

٣ ـ الطبيعة ، وهى الكون المحيط ، بدون المنشآت التى صنعها الانسان .

٤ ـ المنشآت والاختراعات ، وهى منتجات الانسان ، وعلى الرغم من أن الانسان هو الذى صنع تقنيته ، وآلاته ومنشآته الا انها

---

(٣٠) Tomes. A. Quinn, Sociology , Asystamatic Analysis, J. B. Lippincott, N. Y. 1963, p. 198 - 199.

(٣١) اس . س . دوب ، التغير الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص ٩

نجحت فى النهاية فى أن توجد نسقا آليا ذاتيا ، يعتمد عليه انسان اليوم ، ولا يستطيع الاستغناء عنه .

وفى حياة الانسان أشياء ثابتة ، ولكن اطارها المعرفى يتغير مثل المقدس (الدين) ، فالقواعد الدينية الاسلامية مثلا لا يمكن تغييرها ، ولكن يمكن تغيير وسائل تأصيلها ، حسب المناخ الثقافى السائد ، وذلك باستخدام المعرفة المتقدمة فى تأصيل وتثبيت المعتقد الدينى ، من أجل دوافع انسانية وروحية افضل والمثال الواضح على ذلك هو راى الاسلام فى التغير الاجتماعى .

* * *

التغير الاجتماعى فى الاسلام

وبعد هذه الآراء والنظريات المتعددة لعلماء الاجتماع فى التغير الاجتماعى ، واثره ، وما يحدثه فى المجتمعات من آثار ايجابية أحيانا وسلبية فى أحيان أخرى ، يجدر بنا ان نتأمل التغير الاجتماعى من وجهة نظر اسلامية ، ذلك لأننا مهتمون منذ البداية بالتنقيب فى تراثنا الدينى ، وقرآننا الكريم ، عن موقف الاسلام من كل مظاهر الحياة والكون ، ولسنا من دعاة اغفال تجارب ونظريات وبحوث العلماء غير المسلمين ، ولكننا نرى أن المقارنة العلمية بين موقف الاسلام من مجمل قضايا العصر ، وآراء واجتهادات غير المسلمين فى ذلك ، يساعدنا على أن نتبين طريقنا بوضوح ، ان بعض الدارسين لعلم الاجتماع الحديث ، كما هو الحال فى الجوانب الأخرى من المعارف الانسانية ، يهملون ما فى الاسلام من مخطط واضح ، وتفسير شامل يضبط الحركة الاجتماعية ، والتغيرات الحضارية ضبطا محكما ، قائما على أساس قوانين الفطرة وحقائق الكون والوجود .

وقد أقر القرآن الكريم بالتغير من حيث هو قانون اجتماعى عام ، فى آيات كثيرة ، وردت فى مناسبات عدة ، يكفى هنا ان نستدل ببعضها :

قال تعالى : « **ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين** »(٣٢) .

---

(٣٢) البقرة : ٢٥١

والتغير قانون اجتماعى مبنى على الصراع ، اذ من خلال حركة الوجود والمجتمع يشتد الصراع ، وتتصادم المفاهيم والقيم ، ويكون البقاء ووراثة الأرض للأصلح . قال تعالى : « **فأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض** »(٣٣) .

ومداولة الأيام بين الناس لا يمكن أن تأتى الا نتيجة للتغير الذى لا بد أن يحدث ، تبعا للصراع الذى يشتد ويساعد على هذا التغير الحتمى .

قال تعالى : « **ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين . الا من رحم ربك ، ولذلك خلقهم** »(٣٤) .

والاختلاف هو القانون لا الوحدة ، والتغير هو القانون لا الثبات ، ولهذا خلق الله الوجود والانسان ، حتى يميز الخبيث من الطيب ، وفى ذلك يقول تعالى :

ـ « **تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** »(٣٥) .

ولا يجب أن يظل الانسان على وتيرة واحدة ، ولكن عليه أن يغير ويبدل ويتحرك .. قال تعالى منبها لهذه الحقيقة الاجتماعية :

ـ « **ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم** »(٣٦) .

وقال : ـ « **ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** »(٣٧) .

ومن المعروف أن الشريعة الاسلامية لها جانبان :

أولهما : دستورى ثابت بمثابة الأسس والأركان ـ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

وثانيهما : فقهى قانونى ، لأنه يمثل عقلية الاسلام والمسلمين ، واجتهاداتهم فى زمن من الأزمان أو فى عصور متلاحقة ، وهذا الجانب

---

(٣٣) الرعد : ١٧
(٣٤) هود : ١١٨ ، ١١٩
(٣٥) الملك : ١ ، ٢
(٣٦) الأنفال : ٥٣
(٣٧) الرعد : ١١

ليس له قداسة وعصمة الجانب الأول ، لأنه مصطبغ بمظاهر العقل واجتهاده ، على الرغم من انه لم يجر الا فى حدود الضوابط الأصولية ، ولم يتبع الهوى المضل ٠

الا انه قد يخطىء فى فهم النصوص ، أو يعتمد على ظروف العصر واعراف القوم ، ومصلحة ذلك الجيل ، فمن هنا يجوز لعلماء الاسلام فى العصور التالية مراجعة الرصيد ، ووزن الأقوال ، واعتبار المتجددة ، والأعراف الحسنة المستحدثة ، والاعتماد على الفهم الأكثر عمقا وشمولا ، انسجاما مع المفاهيم المكتشفة فى الحياة ومراعاة الظروف والأحوال ، وهذا هو معنى قول الفقهاء : ان الأحكام الفقهية قد تتبدل بتبدل الأزمان ، لحكم أو لمصلحة معتبرة(٣٨) ٠

وليس معنى ذلك ، تحرر الفقه الاسلامى فى أى عصر من عصوره من تصورات الاسلام الكلية ، وقواعده العامة المبنية على الأصول ٠

والاسلام لم يقم بعملية تفسير العالم والحياة فحسب ، وانما الأهم من ذلك قيامه بعملية تحويل وتغيير جذرى مستمر ، والقاعدة التى تقول : ان الاجتهاد ماض الى يوم القيامة ، تمثل هذا تمثيلا واقعيا صادقا(٣٩) ٠

واذا كان التغير الاجتماعى الذى حدث ويحدث فى المجتمعات الاسلامية قد نما وترعرع ، وانطلق من ارضية اسلامية ، فانه بالتاكيد لن يكون هناك ادمان ولا مخدرات ، ولأنه غير ذلك فنحن ندرس أثره على تناول المخدرات ٠ وادمانها فى مجتمعنا المصرى المسلم ٠

* * *

ثانيا ـ التغير الثقافى :

الثقافة : تعنى ذلك الكل المركب الذى يشمل المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعرف ، وكل المقدسات والعادات الأخرى التى

---

(٣٨) محسن عبد الحميد ، منهج التغير الاجتماعى فى الاسلام ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ (١٩٨٣ م) ص ٦١ ، ٦٢

(٣٩) نفس المصدر السابق ص ١٤٠

يكتسبها الفرد من العناصر الأساسية للمجتمع ، والتى يجمع علماء الأنثروبولوجيا والاجتماع على انها تؤلف اهم خصائص الثقافة(٤٠) .

والثقافة يمكن حفظها وتراكمها لأنها تتمتع بدرجة كبيرة من الثبات والاستمرار ، لأنها ليست نتاج فرد واحد ، أو جماعة ما ، أو جيل واحد ، وانما هى نتيجة حتمية لتراكم مجموعة المعارف الخاصة ، بالعديد من الأجيال المتتالية ، ولذلك فان الكثير من عناصر الثقافة يرجع الى عصور ما قبل التاريخ(٤١) .

وتتضمن ثقافة أى مجتمع من المجتمعات : وجهة نظر كل فرد فيه عن السلوك الفردى والعلاقات الاجتماعية السائدة فيه ، وموقفه من المجتمع ومن غيره من الأفراد ، واتجاهاته الفكرية نحو الأسرة ، ووجبات الآباء نحو الأبناء والعكس ، ومستوى الأخلاق وما يحفظه الأفراد من الحكم والأمثال المأثورة ، وما يقدسه ، وما يظهره من ولاء .. الخ . وكل هذا يشكل بدوره نوعا من الثقافة الخاصة ، تصل الى جميع افراد المجتمع عن طريق عمليات التنشئة الاجتماعية ، والآباء وكبار السن الذين ينقلونها الى الأجيال التالية بطريقة التلقين ، أو من خلال وسائل الاتصال المختلفة ، والكتب ودور العلم والدين(٤٢) .

والثقافة كل وظيفى متكامل ، فهى تتغير باستمرار ، ولا توجد ثقافة ثابتة جامدة ، فالتغير يحدث فى جميع الثقافات ، وفى كل الأوقات وللثقافة طبيعة مرنة ، وهى توجد فى جميع المجتمعات البشرية على

---

(٤٠) أحمد ابو زيد ، البناء الاجتماعى ، الجزء الأول ، المفهومات، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ص ١٨٦

(٤١) John Biesanz and others « Modern Society, Prentice Hall » . N. Y. 1954 p. 47.

(٤٢) Wilson Wallis, The Nature of Culture in Nordsko, 3 ed, Social change, McGraw Hill Book Company , N. Y. 1960. P. 81.

السواء . كما أن كل ثقافة تعتبر فريدة فى نوعها ، الا انه من الممكن ان تتشابه بعض المجتمعات فى بعض السمات الثقافية غير ان كل مجتمع له ثقافة تميزه عن المجتمعات الأخرى .

واكل ثقافة نسق قيمى خاص ، فالأفراد يتفاعلون مع ثقافتهم ، والثقافة تؤدى وظيفة هامة : هى تسهيل العلاقات الانسانية ، وجعلها اكثر وضوحا ولا يمكن القول : بأن جميع الأفراد يتساوون فى مدى تقبلهم لعمليات التغير الثقافى التى قد تطرأ على نظمهم الاجتماعية او قيمهم المتعارف عليها ، ولهذا فان عملية القبول الاجتماعى ، تعتبر من أهم العمليات التى تحقق نجاح او فشل عمليات التغير الاجتماعى التى تحدث على أثرها تغيرات ثقافية (٤٣) .

والتغير الثقافى يعنى عملية تحول شامل ، تتناول طبيعة الثقافة ذاتها ، والتغير قد يكون ثورة على الشكل والمضمون(٤٤) . أو يكون تعديلا للأنماط الثقافية التقليدية ، والمنقولة عن ثقافة الماضى ، وادخال بعض الأنماط الثقافية الجديدة والمستحدثة عليها (٤٥) .

ويرتبط التغير الثقافى ، عادة ، بعدم اكتفاء المجتمع بوسائله الحضرية ، ومحاولة التطلع الى كل ما يحقق اشباع الحاجات الاجتماعية التى تختلف من جيل الى جيل ومن مجتمع لآخر ، بغرض الوصول الى جميع الامكانيات التى لم تتمكن الحضارة من توفيرها لأفراد المجتمع ، فى فترة زمنية معينة ، والتى تدفع بالفرد الى البحث عن حلول لهذه العقبات ، بادخال مجموعة من الأنماط الثقافية المستحدثة ، لاحداث بعض التغيرات فى أنشطة الفرد داخل المجتمع .

---

(٤٣) George M. Foster « Traditional Cultures and Technological Change , N. Y. 1962. p. 18.

(٤٤) محيى الدين صابر ، التغير الحضارى وتنمية المجتمع ، سترس الليان ١٩٦٢ ص ٧٨

(٤٥) Dessler David : Sociology, The study of Human Interaction California state College Long Beach U.S.A. 1969 p. 141.

ويؤثر التغير الثقافى فى طبيعة الفرد الاجتماعية ، من خلال محاولته اجراء تغيير فى أنماطه السلوكية ، بما يتفق مع التغيرات التى تحدث فى عناصر الثقافة ومكوناتها(٤٦) .

* * *

ثالثا ـ التقـدم :

ترجع فكرة التقدم الى اقدم أنواع التفكير الانسانى ، وقد كان العلامة لوكرتيس (Luertius) اول من اسـتخدم هـذه الكلمة حوالى عام ٦٠ ق.م . غير أن نظريات التقدم الاجتماعى لم تعتل موضوعات البحث الا فى القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين ، فقد رأى فرنسيس بيكون ، ورينيه وديكارت : أن الانسان فى استطاعته تحقيق تقدم لا مثيل له ، ببذل مجهوداته الارادية فى مختلف مجالات الحياة ، وتوالت بعد ذلك المحاولات العديدة لاقامة نظريات عن التقدم بصورة متكاملة ، الى أن أصبحت فكرة التقدم محورية فى كتابات المفكرين الاجتماعيين فى القرن التاسع عشر(٤٧) وهـذا ما أكده جينزبرج(Ginsberg) ، غير أن افضل من مثل نظريات الكمال والتقدم هو العلامة كندرسيه ، الذى رأى أن تقدم اى مجتمع انسانى مرتبط أساسا بتطور العقل البشرى ، لأن العقل هو المسيطر الرئيسى على حركة التقدم فى اى مجال من مجالات الحياة ، ويرى ضرورة تحسين المجتمع الانسانى عن طريق الاكتشافات الجديدة فى العلوم والفنون ، واحداث نوع من التقدم فى سلوكيات الأفراد واخلاقيات المجتمع ، والطاقات البشرية سـواء عن طريق دورات تدريبية أو تنمية القدرات الفردية(٤٨) .

---

(٤٦) Nord Skog , Jonn Eric , Social change, N. Y. Toronto London 2ed. 1969 p. 94.

(٤٧) محمد عاطف غيث ، التغير الاجتماعى والتخطيط ، مرجع سابق ص ١٢ ، ١٣ .

(٤٨) Ginsberg, Morries Essays Sociology and Social Philosephy Evolution and Progress Volume Three william Heine man Ltd. London 1961 P. 2.

ويعتبر التقدم امرا نسبيا ، اذ يرى البعض : أن الحضارة الغربية قطعت شوطا بعيدا نحو التقدم ، من خلال ضخامة الصناعات وتنوعها ، وارتفاع مستوى معيشة الأفراد وامتلاك عناصر القوة المادية ، وعلى هذا الأساس ، اطلق عليها مصطلح الدول المتقدمة ، الا أن هذا التقدم المادى لا يتضمن المعنى الشامل للتقدم ، فما زالت هذه المجتمعات تعانى من الفروق الطبقية الصارخة وتفتقر الى القيم الانسانية ، التى تتمسك بها المجتمعات المختلفة ، وبخاصة النامية منها(٤٩) ٠

ويمكن تحديد مفهوم التقدم بانه : يتضمن حكما تقويميا على التغير ، لأنه يفترض أن التغير كظاهرة اجتماعية ، يحقق نفعا ، وينتهى الى خير ، وان التغير يسير فى خط مستقيم يميزه عما كان وما سيكون ، فالمرحلة التى يحياها المجتمع خير من سابقتها والمرحلة التالية ستكون اكثر خيرا واعظم نفعا(٥٠) ٠

ومن ناحية اخرى ، يتضمن التقدم الاجتماعى مدخلا معياريا قيميا للحكم على الأحداث الاجتماعية ، ولهذا يهتم التقدم الاجتماعى بالبحث عن مجتمع افضل بينما يهتم التغير الاجتماعى بالمجتمع فى الواقع(٥١) ٠

ولهذا فالتقدم يستهدف خيرا ، أو ينتهى الى نفع ، كما يتضمن أن تكون كل مرحلة لاحقة اكثر ازدهارا ، وارقى من المرحلة السابقة ، ولذلك فان عملية تحويل التغير الاجتماعى الى تقدم لا تقوم على عملية تخيل أو تأمل مجرد لمدينة فاضلة أو مجتمع مثالى ، وانما تقوم على تحليل ودراسة ظروف المجتمع وعوامل تغيره ، سواء كانت هذه العوامل داخلية أو خارجية ٠

---

(٤٩) احمد الخشاب ، التغير الاجتماعى ، الهيئة المصرية العامة للتاليف والنشر ، المكتبة الثقافية العدد ٢٦١ ، ١٩٧١ ص ٢٢ ٠

(٥٠) عبد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع ، مرجع سابق ص ٥٠٣ ٠

(٥١) محمد عاطف غيث ، التغير الاجتماعى والتخطيط ، مرجع سابق ص ١٢ ٠

ومن ثم فان عملية التحويل هـذه لا تقوم على تصورات للمستقبل ، بل تستمد معناها ومحتواها من الدراسـة التحليلية(٥٢) ٠

* * *

رابعا ـ التطـور :

ان المنظور الاجتمـاعى للتطور ، يفترض : أن كل المجتمعـات الانسانية تمر بمراحل محددة وثابتة ، تتدرج فى شتى نواحى الحياة ، فيها من ابسط الأشكال الى اعقدها ، ويمتد هـذا المدلول ليشمل كل علميات التغير التدريجى التى تتم فى مختلف المجتمعات الانسـانية ، وفى جميع صورها لتشمل نواحى الحياة المختلفة ، والتى يتم النظر اليها بصورة متغيرة عما كانت عليه من قبل(٥٣) ٠

والمقصود بالتطور هنا هو انبثاق أشكال جديدة من الأشكال الأصلية ، من خلال عناصر التشابه والاختلاف ، وبطريقة تلقائية تدريجية ، ومن ثم فان التطور بهذا المعنى يعبر عن سير المجتمع من التجانس غير المتناسق ، الى التنافر أو اللاتجانس المتوافق أو المنسجم ، ويتميز التطور بالحتمية ، فلا يمكن تصور مجتمع بدون تطور ، صحيح أن التطور قد يكون فى جماعة أكثر وضوحا وجلاء من جماعة أخرى ، وقد يكون فى فترة أبرز فى نفس الجماعة من فترة أخرى ، كما أن النظم الاجتماعية تتفاوت فى تطورها : فمنها من يتطور بشكل غير محسوس ، ومنها ما يتطور بشكل ملموس ، مثل النظم الاقتصادية وغيرها من النظم الاجتماعية الأخرى(٥٤) ٠

والمقصود بالتطور أيضا : التغير التدريجى الهادىء ، وهو يدل على الطريقة التى تتغير بها الأشـياء من حال الى حال ، ولذلك فهو الحالة الطبيعية العادية للجماعة الانسانية ، والمجتمع الذى لا يتطور ،

---

(٥٢) أحمد الخشاب ، التغير الاجتماعى ، مرجع سابق ص ٢٣ ٠

(٥٣) Duncan Michell : A Duncan Dictionary of Sociology Routledge Kegen Paul, London 1968 p. 169.

(٥٤) أحمد الخشاب ، التغير الاجتماعى ، مرجع سابق ص ٢١ ٠

يصبح مجتمعا شاذا ، بل لا يمكن تصور مجتمع بلا تطور ، ولا يخلو منه أى مجتمع ، والخلاف الوحيد بين المجتمعات فى هـذا الشأن ، يتلخص فى مدى سرعة هـذا التطور(٥٥) .

ويرى أصـحاب النظريات التطورية : أن المجتمعات تمر بأدوار تطورية ارتقائية ، ولهذا تصور هربرت سبنسر تطور المجتمع : على أنه انتقـال من مجتمع بسيط وصغير فى بنائه ووظائفه الى مجتمع يتسـم بالتباين والاختلاف على نطاق واسع (المجتمع المركب) ، وصاغ ذلك فى نظريته عن التطور فوق العضوى(٥٦) .

ويرى أن التطور الاجتماعى للانسان اسـتمرار لهذا « التطور فوق العضوى » للحيوان ، وهذا بدوره ليس الا استمرار لعملية التطور العضوى ، والتطور غير العضوى يشمل جميع العمليات والنتائج التى تتطلب التعاون الوثيق بين مجهودات افراد عديدين ، وهذا التعاون من شأنه أن يفضى الوصول الى نتائج تفوق فى مداها ودرجة تعقدها النتائج التى تتم بواسطة مجهود الفرد وحـده .

والتطور الاجتماعى يتوقف على حدوث تغيرات جوهرية عند بنى الانسان ، وليست عملية التطور فى جوهرها الا تنوعا متلاحقا ، بحيث يتفرع عن نوع عام واحد من الكائنات ، عـدد من النماذج المختلفة ، ومثل هـذا التنوع الذى يحدث فى أشكال الحياة الاجتماعية ، هو المظهر الدائم للتطور الاجتماعى(٥٧) .

***

---

(٥٥) حسن شحاته سعفان ، أسس علم الاجتماع ، القـاهرة ، دار النهضة العربية ، الطبعة الخامسة ١٩٦١ ص ٢٦٦ .

(٥٦) أحمد رأفت عبد الجواد ، مبادىء علم الاجتماع ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ١٩٨٣ ص ١٢٣ .

(٥٧) السيد محمد بدوى ، مبادىء عام الاجتماع ، ص ١٣٧ ، ١٣٨

خامسا ـ النمو :

اختلطت آراء علمـاء الاجتماع والاقتصـاد ، حول مفهومى النمو والتنمية ، لمـا بين هذين المصطلحين من تشابه فى المعنى العام .

أما بالمعنى الدقيق فان النمو يعنى : عملية الزيادة الثابتة والمستمرة التى تحدث فى جانب معين من جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة(٥٨) .

ومن الملاحظ أن هذا المصطلح لم يعد أكثر دقة من مصطلح التطور فى تطبيقه على الظواهر الاجتماعية ، ولهذا فان كلمة « نمو » فى الاستعمال العادى تعنى « تفتح تدريجى » أو نضج كامل لجزئيات شىء معين ، أو نمو لمـا هو كائن بداخل البذرة الأصلية ، وبهذا المعنى يمكن أن نتحدث : عن نمو الطفل أو نمو (تطور) المرض ، ولكن من الصعب أن نطبق ذلك على النمو الاجتماعى ، لأنه لا يمكن الرجوع بأى ظاهرة معينة الى بذرتها الأصلية ، ولكن هناك عمليتين اجتماعيتين فقط (مرتبطين ببعضهما) يبدو فيهما امكان تطبيق مصطلح النمو بشىء من الدقة ، هما نمو المعرفة ، ونمو سيطرة الانسان على البيئة الطبيعية ؛ كما تبدو فى الكفاءة التكنولوجية والاقتصادية ، فهاتان العمليتان هما اللتان ظهرتا بأكبر قدر من الوضوح فى البيانات المتعلقة بنمو وتطور المجتمع الانسانى(٥٩) .

ويحـدث النمو ، عادة ، عن طريق التطـور البطىء والتحـول التدريجى ، ولهذا فانه من المعتاد أن يطلق اصطلاح النمو بصورة أكثر عمومية ، ليعبر عن الزيادة التى تحدث فى كل المجتمعات على اختلاف مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية والحضارية ، وبغير نظر الى المستوى النسبى الذى تبدأ منه عملية النمو .

---

(٥٨) Pazos, Felipe : Requirment for Rapid . Economic, Social Develoment in Social Aspect of Econemic Devlopment in Latin America vol I, 1965 . p. 175.

(٥٩) بوتومور : تمهيد فى علم الاجتماع ، ترجمة محمد الجوهرى وآخرون ، مرجع سابق ص ٣٣٦ .

او ينظر اليه ايضا : على انه عملية تلقائية تحدث دون تدخل من جانب الانسان(٦٠) .

* * *

سادسا ـ التنمية :

يشير لفظ التنمية الى النمو المتعمد الذى يتم عن طريق الجهود المنظمة ، التى يقوم بها الانسان لتحقيق اهداف معينة ، وهى تحتاج الى دفعة قوية ليخرج المجتمع من حالة الركود والتخلف الى حالة التقدم والنمو ، وهذه الدفعة تقف على طرفى نقيض مع عملية التطور والتدرج(٦١) .

وتعرف التنمية بأنها تلك الجهود المنظمة لتحسين احوال المجتمع ، عن طريق تشجيع وحث المقيمين فيه بمساعدة انفسهم ، وتعاونهم بعضهم مع البعض الآخر ، وحثهم على تقديم المعونة الفنية اللازمة عن طريق المنظمات الأهلية والحكومية لتنمية المجتمع(٦٢) . وعادة ما يسبق عملية التنمية تغير كبير يتناول الجوانب البنائية ، كما يتناول الجوانب الوظيفية ، وهو اقرب ما يكون الى التغير الكيفى منه الى التغير الكمى ، والتغير الكيفى من سماته العمق والجذرية ، والسرعة والفجائية ، ومن نتائجه تحول الظواهر والأشياء ، وانتقالها من حالة الى أخرى(٦٣) .

والتنمية الاقتصادية والاجتماعية عمليتان متصلتان ومتشابكتان ، لأنهما مرتبطتان بعضها بالبعض الآخر ، ولا يمكن التركيز على عامل من

---

(٦٠) عبد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع ، مرجع سابق ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ .

(٦١) عبد الباسط محمد حسن : علم الاجتماع ، مرجع سابق ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ .

(٦٢) Dunham Arthur : Community welfare organization, Principle and Practic Thomas Grawel Co . N. Y. 1958 p. 248.

(٦٣) عبد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع ، مرجع سابق ص ٥٠٤ .

العوامل الاقتصادية ، دون الأخذ فى الاعتبار ، الجوانب الاجتماعية ، لأن أغلب مشروعات التنمية التى بدأت دون أن تهتم بنوع التنظيم الاجتماعى القائم فى المجتمع وسياسته الاجتماعية والثقافية حظيت بالرفض ولم تحقق أى نجاح يذكر(٦٤) ٠

فلا بد للتنمية الاقتصادية من أهداف اجتماعية ، تحققها ، فبرامج الانتاج الاقتصادى مثلا تستهدف بالضرورة رفع مستوى المعيشة للمواطنين ، وتحقيق الرفاهية الاجتماعية لأفراد المجتمع ، ولهذا فان أى تنمية اقتصادية لا بد وأن توأكبها تنمية اجتماعية(٦٥) ٠

والتنمية الاجتماعية بمدلولها الاجتماعى ، تعنى توفير التعليم والصحة والمسكن الملائم والعمل المناسب لقدرات الانسان ، وكذلك الدخل الذى يوفر له الاحتياجات المختلفة ، والأمن والتأمين الاجتماعى ، والقضاء على الاستغلال ، وعدم تكافؤ الفرص ، والانتفاع بالخدمات الاجتماعية ، ولذلك فهى لا تتناول جانبا واحدا من جوانب الحياة الاجتماعية ، وانما هى عملية تغير فى التركيب السكانى للمجتمع ، أو فى بنائه الطبقى أو فى نظمه الاجتماعية ، وانماط العلاقات ، وفى القيم والمعايير التى لها تأثير مباشر على سلوك الأفراد ، والتى تحدد بدورها مكانتهم ، وأدوارهم فى مختلف التنظيمات الاجتماعية التى ينتمون اليها داخل مجتمعهم(٦٦) ٠

* * *

---

(٦٤) Poster, Philip . Education and Social change Chicago Press Chicago, 1968. p. 38.

(٦٥) Marshall, W., Principles of Economics AnIntroductry Volume Enghth Ed. Macmillan Co Ltd. London 1956 p. 418.

(٦٦) عبد الباسط محمد حسن ، التنمية الاجتماعية ، مرجع سابق ص ١٠٠ ، ١٠١ ٠

عوامل التغير الاجتماعى

اختلفت آراء علماء الاجتماع والمفكرين حول أهم العوامل الرئيسية فى احداث التغيرات الاجتماعية ، سواء أكانت عوامل داخلية أو خارجية ، موضوعية أو ذاتية ، لأن سيطرة الانسان ، زادت على البيئة الخارجية المحيطة به ، وقد قسم بعضهم العوامل الى قسمين رئيسيين ، يحتوى القسم الأول منهما على : عامل الطبيعة الفيزيقية ، أو العامل الأبكولوجى أو الجغرافى ، والعامل البيولوجى ، والعامل السكانى (الديموجرافى) .

اما القسم الثانى فيشتمل على عوامل ذاتية ، وهى العامل التكنولوجى ، والعامل الاقتصادى والعامل الثقافى ، بالاضافة الى العوامل التي تعتبر ذاتية بحتة مثل : العامل الأيديولوجى ، والعامل السياسى ، ويدخل فيها نمو الوعى والاصلاح والتغيرات الجذرية(٦٧) .

واكد العديد من المفكرين : على ان هناك عدة عوامل اساسية لها تأثيرها المباشر فى احداث التغيرات الاجتماعية ، لأنها سلسلة من العوامل ، متصلة الحلقات ، مترابطة ومتساندة ، منها :

أولا ـ العامل البيئى أو الجغرافى :

وهو العامل المتعلق بالبيئة الجغرافية وتأثير الوسط الطبيعى الجغرافى على الانسان والمجتمع ، وكيف يكون للطبيعة تأثير على النظم الاجتماعية والثقافية ، ومدى تأثير الانسان على البيئة ، فقد استطاعت المجتمعات بفضل ما توصلت اليه من وسائل الاختراع والكشف ، أن تغير بعض ظروف البيئة ، وتقهر سلطانها ، وتذلل صعوباتها ، وتشكلها حسب رغبتها ، فاقامت الكبارى ، واستحدثت وسائل المطر الصناعى ، وما الى ذلك من الأمور التى تدل على تدخل ايجابى من المجتمعات ، لتكيف البيئات التى تعيش فيها(٦٨) .

---

(٦٧) حيدر ابراهيم على ، التغير الاجتماعى والتنمية ، مرجع سابق ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٦٨) مصطفى الخشاب ، علم الاجتماع ومدارسه ، الكتاب الثانى ، المدخل الى علم الاجتماع ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٣ ص ١٥٨ .

وذلك عن طريق ازدياد المعارف الانسانية والتكنولوجية التى مكنت الانسان من السيطرة على البيئة ٠

والواقع أن العوامل الجغرافية لأى مجتمع من المجتمعات تمر بحالات متعددة من الثبات والتغير ، ولكن تحدث أحيانا بعض التغيرات المستمرة فى البناء الاجتماعى للمجتمع ، والذى يتضمن بدوره تغيرا فى الأنساق الفرعية القائمة ، وقد يحدث هـذا التغير نتيجة لعوامل داخلية أو نتيجة لعوامل خارجة عنه(٦٩) ٠

ويلاحظ أن كل نسق اجتماعى يعتمد على ظروف معينة فاذا تغيرت هـذه الظروف ، تغير النسق ، ولذلك كان التغير الاجتماعى فى واقع الأمر : استجابة لظروف متغيرة ، كما أن كل تغير فى علاقة الانسان بالبيئة ، يعنى بالضرورة بعض التغير فى علاقته باقرانه ، لأن العلاقات التى كانت قائمة فى حالة ـ فرضية ـ من التوازن بين الأفراد أو الجماعات ، كانت تمثل اتجاها معينا لهذه العلاقة المتبادلة ، وكلما تغير الاتجاه ، تغيرت صور التوازن وهكذا(٧٠) ٠ لأن هناك تأثيرا متبادلا بين العوامل الطبيعية مثل المناخ والموقع ، والموارد الطبيعية ، وبين الظواهر الاجتماعية مثل : الثقـافة والنظم الاقتصـادية والسـياسية ، وطبـاع واخـلاق النـاس وامزجتهم(٧١) ٠ وعملية التغير الاجتماعى تعتمد أساسا على عمليات موازنة وملاءمة بين البيئـة الجغرافية ، وبين التنظيمات الاجتماعيـة ، فلكل مجتمع من المجتمعات طابع يميزه عن غيره ، ولذلك فأفراد كل مجتمع يتآلفون فى حياتهم الاجتماعية مع الظروف البيئية المحيطة بهم ، والتى تحدث تأثيرات جوهرية فى تطور الحيـاة الاجتماعية بالنسـبة للأفراد(٧٢) ٠

(٦٩) Parsons, T : The social system, London 1951, p. 485.

(٧٠) محمد عاطف غيث ، التغير الاجتماعى فى المجتمع القروى ، مرجع سابق ص ٩٠ ٠

(٧١) حيدر ابراهيم على ، مرجع سابق ص ٣٤ ٠

(٧٢) James and Leible Han, The instifution of Society, Jullone University Press 1956 p. 60.

والمثال على ذلك : ظهور البترول فى بعض البلاد العربية ، فقد ادى ظهوره الى تأسيس العديد من المدن ، فحيث يتفجر يوجد نقط السكنى والاستقرار ، وحيث يجرى ، تمتد خطوط الحركة والنقل ، وتنتشر على طولها الحياة ، وتأخذ كل هـذه الأشكال العمرانية نمطا جديدا ، فتظهر بيئة المدن قبل الريف ، بعكس ما يحدث فى اغلب مناطق العالم ، حيث تظهر المناطق الريفية أولا ، ثم المناطق الحضرية ، ومثل هـذا الترتيب العمرانى المعكوس معروف فى كل مناطق التعدين والكشف الجديد(٧٣) ٠

وعلى ذلك : فان حدوث أى تغير فى البيئة الجغرافية يعقبه تغير فى البنية الاجتماعية للمجتمع ، لأن المضامين الوظيفية لهذا البناء يحدث فيها بعض التحولات التى تؤدى الى تغير الأنسـاق الاجتماعية الموجودة فى المجتمع ، والتى تحدث بعض التأثيرات المباشرة للأفراد ، حيث تظهر لديهـم بعض الاتجاهات الفـكرية الجـديدة ، وبعض الأنماط السـلوكية المسـتحدثة ، يعيشها الأفراد ، ويلمسـونها فى حياتهم الاجتماعية على المستويين الثقافى العام والخاص ٠ ولهذا توجد مجموعة جديدة من القيم الاجتماعية تتفق بدورها مع التغيرات البيئية(٧٤) ٠

وقد احتل موضوع البيئة مكان الصدارة فى المناقشات التى اثيرت حول العوامل المؤثرة فى حياة المجتمعات ، وبخاصة بعد ظهور « داروين » لأنه قرر أن البيئة عامل ، هام جدا ، من العوامل المؤثرة فى بقاء النوع وتطوره ، وتوالت بعد ذلك الدراسات التى تثبت أن البيئة لها اثرها الفعال فى حياة الأمم والشعوب ٠

الا أن هـذه المغالاة فى اعتبار ان البيئة عاملا هاما وحاسما فى احداث التغير الاجتماعى مردود عليها بعدة انتقادات منها :

---

(٧٣) عبـد الباسط محمد حسن ، علم الاجتماع ، مرجع سـابق ص ٥١١ ٠

(٧٤) Parsons. T. Edward shills Toward, A General Theory of action, Cambridge, Harvard university 1967 p. 88.

١ ـ ان المؤيدين لهذا الاتجاه ، اغفلوا امكانيات الفرد ، حيث اعتبروه عنصرا منفصلا تجاه مؤثرات البيئة وآلة صماء لمحركاتها ، ولم ينتبهوا الى حقيقة هامة هى : أن الانسان هو الذى اختص بالادراك والتفكير ، وقد استطاع ان يكيف بيئته ، وان يؤسس فى كثير من الأحيان ، الظروف البيئية التى تلائمه ، فقد كان يحاول ان يبتدع دائمـا : الكثير من الوسائل التى تمكنه من السيطرة عليها ضمانا لاستقرار حياته(٧٥) ٠

٢ ـ تتطور الحياة الاجتماعية عادة بخطى سريعة ، بينما يتطور الوسط الجغرافى ببطء شديد ، والمثال على ذلك : عدم حدوث تغيرات تذكر فى الظروف المناخية فى المجتمع المصرى منـذ العصور القديمة ، بينما تغيرت الحياة والنظم الاجتماعية تغيرا كبيرا(٧٦) ٠

ولذلك لا يمكن أن نسلم : بان العوامل البيئية من العناصر الفعالة فى قيام الحياة الاجتماعية ، وفى تعجيل او تأخير تطورها ٠

***

ثانيا ـ العوامل السكانية (الديموجرافية) :

ويقصد بها الهيكل السكانى لأى مجتمع من المجتمعات ، من حيث حجم السـكان ، وتوزيعهم على مساحة ما ، وخصائص السـكان ، والديموجرافيا عموما تهتم بالسـكان ، والظواهر المرتبطة بهم ، من زيادة ونقصان فى معدلات المواليد والوفيات والهجرات والعوامل المؤثرة فى هـذه التغيرات ٠

ويعتبر اميل دوركايم اول من ربط بين حجم السـكان والتغيرات الاجتماعيـة ، حيث اعتبر حجـم السـكان عنصرا اساسيا فى تصنيف المجتمعات ، فقد اهتم بالكثافة المـادية التى تتأثر بدورها بتركيز السكان ، ونمو المـدن وتطور وسائل الاتصال العـامة ، وهـذا يعنى ، أيضا ،

---

(٧٥) مصطفى الخشاب ، مرجع سابق ص ١٥٧ ، ١٥٨ ٠
(٧٦) عبد الباسط محمد حسن ، مرجع سابق ص ٥١٢ ٠

عـدد الوحدات الاجتماعية للأفراد ، وحجم المجتمع ، أما الكثافة الديناميكية فتقاس فى ضوء علاقات الأفراد والمجموعات الفعالة بالمجتمع ، ويؤدى تزايد حجم المجتمع الى زيادة الكثافة الديناميكية (الأخلاقية – والمعنوية). ويتم ذلك من خلال قانون تقسيم العمل ، وتغير المجتمع من التضامن الآلى ، الى التضامن العضوى(٧٧) .

وكثافة السـكان فى مجتمع ما ، تحدث الكثير من التغيرات الاجتماعية فى نمط المساكن ، والمرافق ، والتماسك الاجتماعى ، ويدخل فى توزيع السـكان مسألة الهجرة ، سواء كانت طبيعية أو تهجير ، أو ما تحدثه الهجرة بنوعيها من تغيرات سواء فى المجتمع المهاجر منه ، أو فى المجتمعات المهاجر اليها ، أما عن خصائص السـكان التى يقصد بها الديموجرافيون تركيبهم من حيث السن والنـوع والزواج والمهنـة والتعليم والدخـل ، فلها دورها أيضا فى زيادة السكان أو نقصهم ، وما يرتبط بذلك من آثار اجتماعيـة واقتصـادية وسـياسية لهـا أهميتهـا فى احـداث التغيرات الاجتماعيـة(٧٨) .

ومن ناحية أخرى يرى ماكيفر : أن هناك تفاعلا بين التغير السكانى ، والتغير الاجتماعى ، فالتغيرات فى معدل الوفيات ، ومعدل الزواج تؤثر وتتأثر ، كما هو واضح فى البلدان ذات الزيادة السكانية العالية ، والموارد المحدودة ، ربما تميل الى العدوان والتوسع العسكرى والاستعمار ، ويؤثر العامل السكانى على الاتجاهات نحو الزواج ، وحجم الأسرة ، والعلاقات الأسرية ، فانخفاض حجم الأسرة ، أحدث تغيرات فى العديد من النواحى ، مثل زيادة نسبة الطلاق ، ونمط العلاقات القائمة بين الزوجين ، وبين الأطفال والآباء وأسلوب تنشئتهم ، ومكانة الأم فى المنزل ودرجة الاكتفاء الاقتصادى للأسرة(٧٩) .

---

(٧٧) محمد فؤاد حجازى ، التغير الاجتماعى ، القاهرة ١٩٧٨ ص ٦٨ .

(٧٨) أحمد رافت عبد الجواد ، مبادىء علم الاجتماع ، مرجع سـابق ص ١٣٠ .

(٧٩) ماكيفر وبيدج ، المجتمع ، الجزء الثالث ، ترجمة سمير نعيم ، القاهرة ، مكتبة النهضة ١٩٧١ ص ٩٤٢ .

وتشكل كل هـذه العوامل عندما تصاب بالخلل الذى يحدثه التغير الاجتماعى المرتبط بالتغير السكانى الى أنواع متعددة من الظواهر الاجتماعية السلبية ، مثل ظاهرة تعاطى المخدرات ، فزيادة نسبة الطلاق ، ونمط العلاقات القائمة بين الزوجين ، وبين الأبناء والآباء وأسلوب تنشئتهم .. الخ . يكون سببا مباشرا فى تعاطى الأبناء للمخدرات بأنواعها فى أحيان كثيرة .

* * *

ويمكن اجمال التغيرات السكانية التى تحدث تغيرا اجتماعيا فى أى مجتمع من المجتمعات فى :

١ ـ التغير فى كثافة السكان .

٢ ـ التعديلات التى تحدث فى التكوين الجنسى أوالعمرى بالنسبة للأفراد .

٣ ـ التغيرات التى تحدث فى عدد أو أنواع وحدات الجماعات السكانية .

٤ ـ ظهور نماذج جديدة من الجماعات أو اختفاء نماذج قديمة منها .

مثل هذه التغيرات التى تحدث فى الجماعات السكانية قد تؤدى الى تغيرات اجتماعية توافقية ، عن طريق تغير الحاجات الاجتماعية التى كان السلوك الجماعى يقوم بها(٨٠) .

ولهذا فان التأثيرات المختلفة التى تحدث فى المسألة السكانية يظهر تأثيرها بشكل واضح فى العوامل التى تؤدى الى حدوث تغيرات اجتماعية .

* * *

ثالثا ـ العوامل الأيديولوجية :

تعتبر الأيديولوجية قوة فكرية تعمل على تطوير النماذج الاجتماعية الواقعية ، وفقا لسياسة متكاملة ، تتخذ أساليب ووسائل هادفة ، وتساندها

---

(٨٠) محمد عاطف غيث ، علم الاجتماع ، مرجع سابق ص ٥٤٦ .

عادة تبريرات اجتماعية او نظريات فلسفية ، او احكام عقائدية ، او افكار تقليدية ، ولهذا ترتبط الأيديولوجيـة بالحركة الاجتماعية(٨١) ٠

لأنها نسق من المعتقدات والمفاهيم ، التى تسعى الى تفسير ظواهر اجتماعية معقدة ، من خلال منظور بوجه الاختيارات السياسية والاجتماعية للأفراد والجماعات(٨٢) ٠

ولذلك فهى تتشكل وفقا للفترة التاريخية التى نشات فيها ، ووفقا للواقع الاجتمـاعى وهى تحقق كثيرا من التغيرات الجـذرية فى بعض الأحيان ، حين تعبر عن الواقع ، وسرعان ما تحاول تبرير الواقع ، وهى تتجسد غالبا فى شـكل حركة جماهيرية قد يقودها حزب سياسى ، او مجموعة من الناس المنظمين ، وعندما يحدث ذلك تنزل الأيديولوجية الى حيز الواقع للأفراد ، وتصبح قوة مادية ، تسبب على الاقل التغير السـياسى ، الذى يفرض بدوره كل التغيرات الأخرى(٨٣) ٠

ولهذا تعتبر الأيديولوجية حركة فكرية هادفة ، لها فاعليتها الايجابية فى البيئة الاجتماعية ، وفى العلاقات الاجتماعية ، وغالبا ما تنعكس روحها على التنشـئة الاجتماعية ، بما تحدثه من تغيرات فى القيم الاجتماعية وفى المستويات الطبقية ، والعمليات الاجتماعية المختلفة ٠

ولا شك ان انتشار التيارات الفكرية المتعددة ، والمذاهب الاجتماعية المختلفـة ، والأديان السـماوية ورسالتها السـامية ، تؤدى الى أوضـاع وتشريعات ، ونظم جديدة ، تحدد علاقة الفرد بغيره ، وبالجماعات التى ينتمى اليها ، وبالمؤسسات التى يتفاعل معها ، ومن هنا تكون الأفكار الجـديدة ، والآراء المسـتحدثة ، عاملا محركا لكثير من التغيرات فى المجتمع(٨٤) ٠

---

(٨١) أحمد الخشاب ، التغير الاجتماعى ، مرجع سابق ص ٥٨ ٠
(٨٢) محمد عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع ، القـاهرة ، الهيئة المصرية العـامة للكتاب ١٩٧٩ ص ٢٣٤ ٠
(٨٣) حيدر ابراهيم على ، مرجع سـابق ص ٥٣ ، ٥٦ ٠
(٨٤) أحمد رافت عبد الجواد ، مرجع سـابق ص ١٣٠ ، ١٣١ ٠

ويرى كثيرون : أن الدين يعد عاملا هاما ومؤثرا فى احداث التغيرات الاجتماعية بالمجتمع ، لأنه يحدث تأثيرات هامة فى المركب الثقافى للمجتمع ، حيث يحدد مجموعة القيم والمعتقدات التى تعمل بدورها على ضبط وتوجيه سلوك الأفراد داخل المجتمع(٨٥) .

فالأديان السماوية مثلا ، وهى اليهودية والمسيحية والاسلام ، دساتير تحدد علاقة الانسان بخالقه وبمجتمعه ، وهى تدعو جميعها الى التطور والتقدم والتسامح ، أما الأديان غير المنزلة ، أى غير السماوية ، فهى أقل سماحة ، وتطورا ، بحيث يمكن أن نقول عنها أنها أديان شديدة التحفظ والانغلاق(٨٦) .

ومما تقدم يتبين لنا أن الأيديولوجية تعتبر عاملا هاما فى احداث التغيرات الاجتماعية .

* * *

رابعا ـ العوامل التكنولوجية :

شهد العالم فى القرن الحديث ، تغيرات تكنولوجية بعيدة المدى ، تمثلت فى الاكتشافات والمخترعات الحديثة ، التى أحدثت تغيرا جذريا فى ميادين الطب والطبيعة والكيمياء ، ووسائل المواصلات ، وآليات الحياة المنزلية .. الخ . مما أثر فى السير بالتغير الاجتماعى الى أبعد مدى ، وكان لكل اختراع جديد أثره الظاهر فى التغيرات البنائية والوظيفية فى الحياة الاجتماعية(٨٧) .

وكان من أوائل النتائج التى ترتبت على النمو التكنولوجى : انتقال العمل اليدوى البسيط الى الآلية الكاملة ، التى قللت فى شأن القوى العضلية والجسمية عند الانسان ، ولم يعد العمل يعتمد على المهارة

---

(٨٥) koenig Samuel, Sociology , An Introduction to the Science of Society Barnes and Noble, N. Y. 1964 P. 316.

(٨٦) اس . س . دوب ـ مرجع سابق ص ٢٠ .

(٨٧) مصطفى الخشاب ، مرجع سابق ص ٣٩٨ .

الشخصية ، وصاحب تقدم الآلة ، زيادة ثابتة وسريعة فى قوة الانتاج ، مما أدى الى تخفيض ساعات العمل ، وظهور البطالة فى كثير من الأحيان(٨٨) .

وهناك أمثلة عديدة يمكن ذكرها لتوضيح الصلة المتبادلة بين التطور التكنولوجى والصناعى ، والتغيرات الاجتماعية عبر الفترات التاريخية المختلفة :

ـ كانت الثورة الصناعية سببا فى القضاء على المجتمع الاقطاعى فى أوروبا ، تبع ذلك تغيرات أساسية فى الاتجاهات والمعتقدات والنظم .

ـ أثرت الثورة الصناعية تأثيرا عميقا ، على واحد من أهم النظم الاجتماعية ، وهو النظام العائلى ، فقد قضت المصانع على الانتاج الصغير ، الذى كانت تقوم به العائلة ، كما خرجت المرأة الى العمل ، وتم تشغيل الأطفال .

ـ نتج عن الثورة الصناعية : ظهور التخصص الدقيق ، وتقسيم العمل وأصبح كل فرد يقوم بالعمل الذى يتقنه(٨٩) .

وكان للتغيرات التكنولوجية أثرها الواضح أيضا على المستوى الاقتصادى بالنسبة للمجتمع ، بوجه عام والأسرة على وجه الخصوص ، فخروج المرأة الى ميدان العمل رفع مستوى الأسرة الاقتصادى ، وذلك عن طريق تعاون الزوجين فى نفقات المعيشة وأدى ذلك الى رفع المستوى المادى للأسرة ، وتحسين مستواها المعيشى ، ولكنه بقدر ما رفع من المستوى المادى بقدر ما قلل من مستوى العواطف والروابط بين أفراد الأسرة الواحدة .

وقد كان للتغيرات التكنولوجية أثرها الفعال فى تقليل عمل

---

(٨٨) Everett Rogers , Social change in Rural Society 3 ed . N. Y. 1966, p. 22.

(٨٩) ماكيفر وبيدج ، الجزء الثالث ، مرجع سابق ص ٩٧٠ .

المراة فى المنزل ، بعد ظهور الآلات الحديثة ، التى تسهل أداء الأعمال المنزلية ، مثل « موقد الغاز ، والثلاجة ، والمكنسة ، والغسالة .. الخ . » مما جعل المراة تحاول أن توازن بين عملها ، وادائها لمهامها المنزلية ، بطريقة اقل صعوبة عن ذى قبل ، حيث أصبح عملها لا يتعارض مع أداء وظائفها كمسئولة عن بيتها(٩٠) .

* * *

وهكذا كان للتكنولوجيا تأثيرها الفعال والواضح فى احداث التغيرات الاجتماعية ، حيث اكتسح هذا التقدم التكنولوجى معظم النظم الاجتماعية ، او قلل من فاعليتها .. فبجانب ما قام به من تسهيل وسائل الحياة ، فانه قام ايضا بتعقيدها بشكل لم يسبق له مثيل ، فلم تعد الأسرة الصغيرة المعاصرة ، تملك اسلحة المقاومة المناسبة ، امام هذا التقدم التكنولوجى ، فاسلم افرادها انفسهم له بلا روابط انسانية وروحية حقيقية تحميهم من تلك الغابة الألكترونية المعاصرة ، فاندفع الآباء والأمهات لكى يكونوا فى عملهم مجرد تروس فى آلة التكنولوجيا الرهيبة ، وقلت العواطف الانسانية المتبادلة ، بل انعدمت او تكاد ، بين اعضاء الأسرة الواحدة ، ولأن التكنولوجيا قد رفعت من شأن الآلة ، وقللت من شأن الانسان ، فان هذا الانسان المعاصر اصبح يعانى من الفراغ والملل والاكتئاب ... الخ ، حتى انه لم يعد يملك فرصة اختيار حقيقية فى حياته العملية ، بعد أن قطعت عليه الاعلانات التجارية صفو حياته ، واصبحت من خلال وسائل الاعلام الكاسحة والمسيطرة ، تحدد له ما ياكله وما يلبسه ، وحتى ما يفكر فيه !!

ولعل المخدرات ، كانت الاختيار الوحيد ، الذى استطاع الانسان أن يذهب اليه لكى يهرب من نفسه ومن عالمه ومن كل أحزانه ، احتجاجا على المجتمع التكنولوجى وسيطرته ، وضياعه الروحى الذى

---

(٩٠) Gladys Sellew and others « An Introduction to Sociology » Harper, Brothers N. Y. 1958, p.p. 90, 97.

فرغه من كل مضامينه الانسانية ، ويفكرون الآن فى الكيفية التى يعودون بها الى الدين فى الولايات المتحدة وأوروبا لسد الفجوة الروحية الهائلة ، التى نجمت عن ابتعاد الانسان المعاصر عن الدين وهروبه الى المخدرات .

* * *

خامسا ـ العوامل الاقتصادية :

ويقصد بها أشكال النظم الاقتصادية ، وأثرها فى الانتاج والتوزيع والاستهلاك ، والظواهر الاقتصادية ما هى الا ظواهر اجتماعية ، ولا شك أن الوفرة الاقتصادية ، تؤدى الى تغييرات فى نواحى الحياة الأخرى ، من خلال توفير المرافق والخدمات والاسكان المناسب والمواصلات الميسرة وطرق ووسائل الحياة الأكثر سهولة ورفاهية ، حيث يرتبط الازدهار الاقتصادى بالفنون والآداب والعلوم ، وأثر العوامل الاقتصادية فى التغيرات الاجتماعية حقيقة لها وجودها اذا تأملنا بعض البلاد العربية النفطية ، وكيف تغيرت معالم الحياة فى كثير منها(٩١) .

ويرى ماركس : أن العامل الاقتصادى هو العامل المؤثر فى احداث التغيرات الاجتماعية ، ودفع حركة التغير ، ويرى أن المجتمع يمر بمراحل متعددة ، وكل مرحلة من هذه المراحل ، ترتبط بنظام محدد يرجع فى أصله الى العوامل الاقتصادية الرئيسية مثل وسائل الانتاج والاستهلاك وغيرها ، ويرى أن حدوث اى تغير فى اى جانب من جوانب الحياة الاقتصادية ، يؤدى بدوره الى حدوث تغيرات فى جميع المؤسسات الاجتماعية ، مثل الحكومة والأسرة والمعتقدات الدينية لدى الأفراد ، ولذلك فان العامل الاقتصادى ، يصبح هو الأساس فى المجتمع لأن أكثر جوانب الحياة الاجتماعية المختلفة ، تعتمد عليه اعتمادا أساسيا(٩٢) .

---

(٩١) أحمد رافت عبد الجواد ، مرجع سابق ، ص ١٣٢

(٩٢) Koenig Samuel - op. cit. p. 284.

وقد وجه نقد كثير الى ماركس ، واشارت كثير من الدراسات الى ان التغيرات الاجتماعية لا تحدث بناء على العوامل الاقتصادية وحدها ، وانما تحدث نتيجة لعدة عوامل مترابطة ، تحدد اتجاهات التغير فى المجتمع .

والواقع ان ماركس وخلفاؤه حتى الآن ، صنعوا من الآلة والاقتصاد ، صنما عبدوه ، ولكنهم عندما فشلوا ، وتخلفوا عن غيرهم يتراجعون الآن ، وهم فى تراجعهم لن يجدوا أمامهم سوى اعادة فتح الكنائس والمساجد على نطاق واسع ، وليس للدعاية فقط ، **حتى يملئو فراغهم** الروحى الذى ادى بهم الى ما هم عليه الآن .

وفى مصر ادت العوامل الاقتصادية الى خلل فى معظم ادوار المؤسسات والمنظمات الاجتماعية ، وذلك لتوالى وسائل النمو ، بأهداف مختلفة ، فاختلاط الاشتراكية بالرأسمالية كأساليب للتنمية ، اثر على الأداء الاقتصادى للمجتمع ، وادى الى انواع مختلفة من البطالة ، وسوء توزيع الدخل القومى والديون .. الخ ، مما ادى الى انواع متعددة من انواع الخلل الاجتماعى .

* * *

سادسا ـ الثورات والحروب :

تتعرض المجتمعات احيانا لثورات داخلية ، وايا كانت اسبابها فان الثورة ، تقوم من أجل احداث بعض التغيرات فى بناء المجتمع وانظمته ، وقد تكون هذه التغيرات جزئية ، فتشمل تعديل بعض الأوضاع وتصحيحها ، طبقا لفلسفة الثورة القائمة ، أو تغيرها كلية ، بحيث تختفى الأولى ، لتحل محلها اوضاعا جديدة ، مما يغير فى شكل البناء القائم ، تغييرا يشمل مورفولوجيته ووظائفه(٩٣) .

كما تعتبر الحروب من عوامل التغير الاجتماعى ، فقد تحدث دمارا يصيب العمران ، فيحيله الى خراب ، ويفتك بالانسان فيفنيه أو يعيقه ويشوهه ، ويشرد أطفالا ويرمل نساء ، وما يترتب عليها ايضا

---

(٩٣) أحمد الخشاب ، مرجع سابق ، ص ٥٨ ، ٥٩

من هجرات أو تهجير ، وقد يحدث خلل فى تركيب السكان وخاصة من حيث النوع والسن والزواج والمواليد والوفيات(٩٤) .

كما أن الشعوب الغازية ، قد تأتى بثقافة جديدة ، يفرضونها على أبناء المجتمع الذين هزموا ، وهذه الثقافة والأفكار والفلسفات الجديدة ، اذا ما أخذ بها المجتمع ، فانها تؤدى الى تغيير جانب كبير من تراث المجتمع الحضارى ، غير المادى ، بالاضافة الى أنها تحدث تغييرات كثيرة فى جوانب المجتمع المادية(٩٥) .

وقد شهدت مصر عدة حروب أنهكت قواها الاقتصادية والبشرية ابتداء من حرب عام ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، مرورا بحرب الاستنزاف ، فحرب ١٩٧٣ ، فبالاضافة الى مليارات الجنيهات والدولارات التى تجاوزت المائتى مليار حسب بعض التقديرات ، فان أجيالا متعاقبة من المصريين كانوا وقود هذه الحروب ، وحيث وظف الاقتصاد المصرى لفترات طويلة لخدمة المجهود الحربى ، كانت ظواهر التغير تفرض وجودها من خلال الانتصارات والهزائم ، مما شكل ضغطا متزايدا على الموارد البشرية والاقتصادية ، وما تبعه من تغيرات اجتماعية بعيدة المدى ، غيرت شكل ومضامين الحياة الاجتماعية .

* * *

سابعا ـ الاتصال بين المجتمعات :

ومن العوامل المؤدية الى التغير الاجتماعى ، سهولة الاتصال بين المجتمعات ، وانتقال الثقافات ، والأنماط الحضارية والعمرانية وتبادلها بين بعضها البعض وقد يكون هذا الانتقال متعمدا أو عرضيا ، فالأول يحدث بفضل الهجرة ولا سيما الموجهة ، وتبادل البعثات والخبرات ، وحملات المبشرين والغزو الثقافى والاستعمار ، ويجىء الثانى عن طريق الصحافة والاذاعة ، والكتب والسينما وقيام الحروب ، وما الى

---

(٩٤) أحمد رأفت عبد الجواد ، مرجع سابق ، ص ١٣٣
(٩٥) أحمد الخشاب ، مرجع سابق ، ص ٥٥

ذلك من الوسائل التى تتيح انتقال وتبادل الأفكار والثقافات والنماذج الحضارية وما اليها(٩٦) .

وعلى الرغم من اهمية الانتشار فى نقل بعض السمات والعناصر الثقافية من مجتمع لآخر ، فان الصعوبة تكمن فى نقل نمط ثقافى من مجتمع معين ، وتطبيقه بنفس الصورة فى مجتمع آخر ، نظرا للاختلافات الكثيرة فى الظروف الاجتماعية والملابسات القومية ، التى تميز المجتمعات بعضها عن بعض ، فما يصلح للتطبيق فى مجتمع معين ، قد لا يصلح للتطبيق فى مجتمع آخر ، وما يمكن تطبيقه فى زمان معين ، لا يمكن تطبيقه فى زمان آخر(٩٧) .

غير أن وسائل الاتصال المتقدمة ، والتى حولت عالم اليوم الى مجرد قرية الكترونية ، سوف يكون لها فى المدى القريب آثارها غير المألوفة بالنسبة لمعظم شعوب العالم .

فقنوات البث التليفزيونى الدولية ، عبر الأقمار الصناعية ، والتى سيتم تشغيلها فى النصف الثانى من هذا العام ، سيكون لها ابلغ الأثر على مجمل العلاقات والقيم الاجتماعية الثابتة ، او ما تبقى منها على الأقل ، وظل صامدا امام تاثيرات الحضارة الغربية بمختلف انواعها ، واذا كان الاستعمار والغزو العسكرى فى الماضى كان يحاول فرض ثقافته على الشعوب المغلوبة ، فان الوسائل قد تغيرت الآن ، لأن التكنولوجيا المتقدمة فى مجال الاتصال بوسعها تحقيق الأهداف بغير وسائل عسكرية ، وما على شعوب العالم الثالث ، ونحن منها ، الا أن تدرب نفسها وعقولها ، على طريقة التفكير النقدى ، لأنها هى الوسيلة الوحيدة والمضمونة ، التى تجعل الانسان قادرا على رؤية كل شىء ، ومعرفة كل شىء ، ولكن ليس بطريقة الاستقبال والطاعة ، ولكن بشكل يتيح له ان يرى ويفكر ويختار وينتقد .

* * *

---

(٩٦) مصطفى الخشاب ، مرجع سابق ، ٣٩٩

(٩٧) عبد الباسط محمد حسن ، مرجع سابق ، ص ٥١٧ ، ٥١٨